الجهود الدعوية لمحب الدين الخطيب في محاربة الانحرافات الفكرية.

د/ سلطان مفرح ناصر الهاجري.
دكتوراه في الفلسفة والعقيدة.
معلم في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.

الجهود الدعوية لمحب الدين الخطيب في محاربة الانحرافات الفكرية.

الاسم: سلطان مفرح ناصر الهاجري.

دكتوراه في الفلسفة والعقيدة.

معلم في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.

البريد الالكتروني: aboabdallah078@gmail.com

مخلص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة الجهود الدعوية لمحب الدين الخطيب في محاربة الانحرافات الفكرية، بالنظر إلى أن كل انحراف عن دين الله يبتدئ بفكر هابط أو بدعة ثم تتطور مع الأيام، حتى أنها قد تُعرض صاحبها للخروج من الإسلام.

وجاءت هذه الدراسة في بيان المؤثرات الواقعية على مسلك محب الدين الخطيب الدعوي، وآثاره التي خلفها للأمة، ونمط فقه الأولويات الذي يسلكه، مع إبراز الجانب الدعوي في محاربة الانحرافات الفكرية كالتبشير بالنصرانية ومحاولة اختراق المسلمين به، والتغريب، والإلحاد، والعلمية، وكذا إبراز الجانب الدعوي لمحب الدين الخطيب في نقد الأفكار الباطنية من البهائية والقاديانية، والطوائف المنحرفة من الشيعة الرافضة، والصوفية.

الكلمات المفتاحية: (الإلحاد، العلمية، الرافضة، الصوفية، محب الدين الخطيب، الدعوي)

النتائج: خلصت هذه الدراسة إلى وجوب العمل على تأسيس حالة دعوية مشابهة لما كان عليه محب الدين الخطيب، من الغيرة على الدين والعمل على جميع الصُعد بالدفع عن الإسلام.

The advocacy efforts of Muhibb al-Din al-Khatib in combating intellectual deviations.

Name: Sultan Mefreh Nasser al-Hajri.
PhD in Philosophy and Doctrine.
Teacher at the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs in Kuwait.
Email: aboabdallah078@gmail.com

Abstract:

This study aims to study the advocacy efforts of Mohib Al-Din Al-Khatib in combating intellectual deviations, given that every deviation from the religion of God begins with a low thought or heresy and then develops with the days, until it may expose its owner to exit from Islam.

This study came in the statement of the realistic influences on the path of Mohib al-Din al-Khatib preaching, and his effects that he left behind for the nation, and the pattern of jurisprudence of priorities that he follows, while highlighting the advocacy side in fighting intellectual deviations such as preaching Christianity and trying to penetrate Muslims with it, Westernization, atheism, and science, as well as highlighting the advocacy side Mohib al-Din al-Khatib in Criticizing the Mystical Ideas of the Baha'i and Qadiani, and the deviant sects of the Shiites, and the Sufis.

This study concluded that it is necessary to work on establishing a state of advocacy similar to what Muheb al-Din al-Khatib used to do, of jealousy over religion and working on all levels to defend Islam.

Keywords: (atheism, scientific, Shiite, Sufism, Muhibb al-Din al-Khatib, preacher)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من سار على دربهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فمن نعم الله تعالى على الإسلام أن جعل له في كل زمانٍ رجالاً يقومون فيه بأمره، ويلزمون فيه وحيه، ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وفي مثلهم قال النبي – صلى الله عليه وسلم–: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"(١).

ومن هؤلاء الرجال: الشيخ العلامة محب الدين الخطيب، وشهرة الشيخ بين الناس واسعة، ومعرفتهم باسمه، لدفاعه عن دين الله ظاهرة، فلا منكى في معرفة فضله وسعة بروزه بين أبناء جيله ومن جاء بعدهم وكأن حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– صادق فيمن هو مثله، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: " إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض"(٢).

(١) أخرجه أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة العالمية– بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م، أول كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المئة، حديث رقم (٤٢٩١)، (٣٤٩/٦)، وقال محققو السنن: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦هـ، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله للملائكة، حديث رقم (٧٤٨٥)، (١٤٢/٩).

ولذا جاءت هذه الدراسة لذكر شيء من جهود محب الدين الخطيب في الدفع عن الشريعة وعن دين الله في وجه الضلال وأهله، والرد على أصحاب الزيغ.

مشكلة الدراسة:

يمكن إبراز مشكلة الدراسة في السؤال الآتي:
ما الجهود الدعوية لمحب الدين الخطيب في محاربة الانحرافات الفكرية؟
ويتفرع عن هذا السؤال:

أولاً: ما الدوافع الواقعية عند محب الدين الخطيب المؤثرة في مسيرته الدعوية، وما آثاره، وما مبدأ الأوليات عنده؟

ثانياً: ما جهود محب الدين الخطيب في محاربة الغزو الفكري؟

ثالثاً: ما جهود محب الدين الخطيب في محاربة الفكر الباطني؟

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية موضوع الدراسة فيما يأتي:

١. أن دراسة جانب الجهود في الدعاة المعاصرين يعين على تكوين القدوات في هذا الباب للدفع نحو تحقيق آلية علمية صحيحة في الدفع عن دين الإسلام ورد الشبهات حوله.

٢. أن محب الدين الخطيب من الدعاة المؤثرين، وأثره ممتد على جميع الأصعدة الشرعية، ولها شهرة واسعة، مما يحتاج معه إلى بيان جهده خاصة، والتركيز على طريقة تعامله مع مقتضيات عصره.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

أولاً: بيان الدوافع الواقعية عند محب الدين الخطيب المؤثرة في مسيرته الدعوية، وبيان آثاره، وبيان مبدأ الأوليات عنده.

ثانياً: إبراز جهود محب الدين الخطيب في محاربة الغزو الفكري.

ثالثاً: إبراز جهود محب الدين الخطيب في محاربة الفكر الباطني.

الدراسات السابقة

بالنظر إلى الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع هذه الدراسة فعلى ما يأتي:

١. دراسة الباحث: سامح منصور حمد عبيد، بعنوان: "الفكر الإصلاحي عند محب الدين الخطيب وأثره على المجتمع دراسة تحليلية نقدية"، وهي رسالة ماجستير مقدمة كلية الآداب– جامعة المنوفية، وقد نوقشت هذه الدراسة سنة ٢٠٢١م.

٢. دراسة الباحث: أسامة بن أحمد بن عبد الله الجيزاني، بعنوان: "الجهود الثقافية للشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله دراسة تحليلية"، وهي رسالة ماجستير في تخصص الثقافة الإسلامية، مقدمة إلى كلية الدعوة وأصول الدين– جامعة أم القرى، ونوقشت هذه الدراسة سنة ١٤٣٦هـ.

٣. دراسة الباحث: ميلود بلعالية، بعنوان: "جهود محب الدين الخطيب ومجلة الفتح في مقاومة التيار القاديانية"، وهو بحث منشور في مجلة قرطاس للدراسات الفكرية والحضارية– الجزائر، المج ٨، ع ٢، ٢٠٢١م، ص (٢٧–٣٨).

منهج الدراسة:

سيستخدم الباحث في دراسته المناهج الآتية:

أولاً: المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال:

- استقراء ما يتعلق بالجهود الدعوية لمحب الدين الخطيب في مجال الانحرافات الفكرية.

ثانياً: المنهج الوصفي التحليلي: وذلك من خلال:

- توصيف طبيعة هذه الجهود الدعوية لمحب الدين الخطيب.

- تحليل هذه الجهود الدعوية لمحب الدين الخطيب، وبيان طبيعة تعامله مع الانحرافات الفكرية.

خطة الدراسة:

المبحث الأول: محب الدين الخطيب من الحياة إلى الممات.

المبحث الثاني: الدوافع الواقعية عند محب الدين الخطيب، وآثاره، ومبدأ الأولويات.

المبحث الثالث: جهود محب الدين الخطيب في محاربة الغزو الفكري.

المبحث الرابع: جهود محب الدين الخطيب في محاربة الفكر الباطني.

المبحث الأول

محب الدين الخطيب من الحياة إلى الممات

المطلب الأول: اسمه ونسبه:

محب الدين الخطيب هو محب الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب.

والشيخ محب الدين من أسرة الخطيب الحسنية الشهيرة في دمشق، والتي انتقلوا إليها من أرض خولان في الغوطة الشرقية منذ مائتي سنة، وأول من انتقل منهم هو جدهم الشيخ عبد الرحيم الخطيب المتوفى سنة ١١٩٩م الموافق لعام ١٧٨٥هـ.

أما والده الشيخ أبو الفتح بن عبد القادر الخطيب من علماء دمشق المولود سنة ١٨٣٤م والمتوفى سنة ١٨٩٧م[٣]، ترجم له الزركلي بقوله: "فاضل دمشقي، ولي أمانة دار الكتب الظاهرية، والتدريس والوعظ في الجامع الأموي، كان يميل إلى التقشف، ويكره معاشرة الحكام"[٤].

وأما جده: الشيخ عبد القادر بن صالح، فقد ترجم له محمد منير الدمشقي: "الشيخ العلامة عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم الشهير بالخطيب الشافعي الدمشقي أخذ عن علماء عصره، وتصدر للوعظ والإرشاد في جامع بني أمية، وانتفع بتدريسه خلق كثير، وكان في بادئ أمره يشتغل بتجارة العطارة، برع في العلوم النقلية والعقلية، وانتهت إليه مشيخة الشافعية،

(٣) ينظر: مجاهد، زكي محمد، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط٢، ١٩٩٤م، ص (٢٥٥)، الطنطاوي، علي، ذكريات، دار ابن حزم- بيروت، ط٥، ٢٠٠٧م، (٢٥٨/١).

(٤) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي، ت ١٣٩٦هـ، الأعلام، دار العلم للملايين- بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م، (٢١٣/٦).

وله مؤلفات وآثار مفيدة، وأعقب أربعة أولاد علماء سادة أتقياء، وهم: أبو نصر، وأبو الفرج، وأبو الفتح، توفي سنة ١٢٨٨هـ"[٥].

وأما والدته: فهي آسية بنت السيد محمد بن السيد شحاده الجلاد، وكانت إمرأة صالحة تقية يندر مثلها في النساء، وقد توفيت بين مكة والمدينة المنورة إثر مصرفها من أداء فريضة الحج في أواخر ذي الحجة من عام ١٣١٠هـ الموافق ١٨٩٣م، وقد كان عمر الشيخ محب الدين الخطيب آنذاك سبع سنين[٦].

وفيما يتعلق بنسب أسرة الشيخ محب الدين الخطيب فإن نسبها يعود إلى آل البيت؛ فهم يتصلون نسباً إلى السيد عبد القادر الجيلاني ثم إلى الحسين بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– سبط النبي – صلى الله عليه وسلم–.

المطلب الثاني: مولده ونشأته:

في حي القيميرية القديم من أحياء دمشق، وفي يوم دافئ من أيام شهر تموز لعام ١٨٨٦م الموافق لشهر شوال من عام ١٣٠٣هـ، ولد الشيخ محب الدين الخطيب في هذه الأسرة العرقية في العلم والنسب.

وأما نشأته: فالأسرة كما تقدم بيت علم، فضلاً من مكانتهم التجارية في مجتمع التجارة، وكذا في المناصب الحكومية، مما أثر كل هذا على شخصية الشيخ وعلمه.

فقد ألحقه والده في مرحلة الدراسة الابتدائية في مدرسة الترقي النموذجية والتي كانت تعد من أفضل مدارس الدولة العثمانية في دمشق وقتئذ، ثم ألحقه

(٥) الدمشقي، محمد منير الدمشقي، نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة الخيرية سنة ١٣٤٩هـ، مكتبة الإمام الشافعي– الرياض، ط٢، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م، ص (٤٣٨).

(٦) ينظر: سويدان، حسن السماحي سويدان، من سير الخالدين بأقلامهم، دار القادري، ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م، ص (٨٩).

في مرحلة الدراسة الثانوية بمدرسة مكتبة عنبر؛ إلا أن المنية قد عاجلت في والده في سنته الأولى للدراسة في هذه المدرسة، فدفع أهل الشيخ محب الدين الخطيب ولدهم إلى الدراسة الشرعية بين يدي العلماء حتى درس الأدب والنحو والبلاغة، والعديد من العلوم الشرعية، ثم أعاد الشيخ محب الدين الخطيب الانتساب لمدرسة مكتبة عنبر من جديد(٧).

وكان محب الدين الخطيب شغوفاً من صغره بالقراءة والكتابة في كتب التراث والقومية العربية، مما كان سبباً في استدعاءه للتحقيق في المدرسة بزعم القراءة في كتب يمنع تداولها، فأسقطت بعض درجاته من مجموعه الكلي، فالتحق الشيخ بعدها بمدرسة بيروت الثانوية الأميرية، حتى تمام نهاية دراسته الثانوية سنة ١٩٠٥م.

ومن أسباب ولع محب الدين الخطيب بالقراءة في هذا السلك هو تأثره بشيخه طاهر الجزائري الذي كان له الدور البارز في نشأة أفكاره، وقد كانت العلاقة بين طاهر الجزائري ووالد الشيخ محب الدين قوية مما جعلها باباً من أبواب التأثير على الابن بجامع العلم والقرب(٨).

وفي سياق الحديث عن شيخه طاهر الجزائري، فإنه من أبرز المادة العلمية العملية في محب الدين الخطيب وساهم في زراعتها حتى قال فيه الخطيب: "من هذا الشيخ الحكيم عرفت عروبتي وإسلامي، منه عرفت أن المعدن الصدئ الآن الذي برأ الله منه في الدهر الأول أصول العروبة، ثم

(٧) ينظر: سويدان، من سير الخالدين بأقلامهم، ص (٩٠).

(٨) ينظر: برج، محمد عبد الرحمن، محب الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية (١٩٠٦م- ١٩٢٠م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ص (١٢)، سويدان، مصدر سابق، ص (٩٨).

تخيرها ظئراً للإسلام: إنما هو معدن كريم لم يبرأ الله أمة في الأرض تدانيه في أصالته وسلامته وصلابته وعظيم استعداده للحق"[٩].

ومما كان يصنعه الجزائري مع تلميذه الخطيب أنه كان ينتقى له بعض مخطوطات شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– وأضرابه، فيكلفه بنسخها ليزيد في علمه، وينمي له مداركه، ويُشغل وقته، مع انتفاعه بأجر النسخ[١٠].

وفي المرحلة الجامعية سافر الشيخ محب الدين الخطيب إلى استانبول– عاصمة الدولة العثمانية آنذاك– فالتحق بكليتي الحقوق والآداب في وقت واحد، غير أنه ما استطاع أن يكمل دراسته في كلية الحقوق خاصة، فغادرها إلى دمشق سنة ١٩٠٧م [١١].

المطلب الثالث: وفاته:

في الثاني والعشرين من شهر شوال لعام ١٣٨٩هـ– الموافق لشهر ديسمبر من عام ١٩٦٩م، توفي الشيخ محب الدين الخطيب في مستشفى الكاتب بالدقي– في مصر، بعد إجراءه عملية جراحية، وقد خلَّف وراءه تراثاً كاملاً وعلماً وعملاً، فصدق فيه أنه من العلماء العاملين، الذين أمضوا حياتهم في طاعة الله وذباً عن حياض دينه[١٢].

(٩) ينظر: زين العابدين، محمد توفيق، من أئمة الإصلاح: العلامة المحقق محب الدين الخطيب ١٣٠٥هـ– ١٣٨٩هـ، المنتدى الإسلامي، ع ٢٩٦، مارس– ربيع الثاني، ٢٠١٢م، ص (٨٦–٩١).

(١٠) ينظر: زين العابدين، مصرد سابق.

(١١) ينظر: عبيد، سامح منصور حمد، الفكر الإصلاحي عند محب الدين الخطيب وأثره على المجتمع دراسة تحليلية، دار الأمل– مصر، ط١، ١٤٤٣هـ– ٢٠٢٢م، ص (٣١).

(١٢) ينظر: عبيد، مصدر سابق، ص (٣٢).

المبحث الثاني

الدوافع الواقعية عند محب الدين الخطيب، وآثاره، ومبدأ الأولويات

لا شك أن لكل فعل ردة فعل مساوية له في القوة ومعاكسة له في الاتجاه، وبطبيعة الحال فإن للباطل جولة وللحق جولات، وقد ابتدأ الباطل عبثه بواقع الأمة أكثر فأكثر في مرحلة ضعف الدولة العثمانية، وبالأخص ما يتعلق بانتشار الأفكار التغريبية، التي امتد أثرها من القرن الثامن عشر الميلادي مروراً بأوائل القرن العشرين، وتبلورت هذه الأفكار أكثر فأكثر بين الحربين العالميتين(١٣).

وما يهمنا هنا هو مراقبة الدوافع التي قامت في نفس الشيخ محب الدين الخطيب، ومعرفة جذورها، ثم الحديث عن الأولويات والذي يُعد الآلة العملية في ضبط الدوافع لتؤدي غرضها العام، من القيام بحق هذا الدين.

المطلب الأول: الدوافع الواقعية عند محب الدين الخطيب:

لا شك أن التربية التي تلقاها الشيخ محب الدين الخطيب على يدي والده ثم شيخه طاهر الجزائري، ثم ما على يد من تلقى على أيدهم العلم والمعرفة كانت المحرك الأساسي والدافع للقيام بواجب هذا الدين في نفس الشيخ محب الدين الخطيب؛ فالغيرة على دين الله من أوجب واجبات العاقل في زمن الفتن وفي غير زمن الفتن.

ويمكن استشعار مبدأ الغيرة الإسلامية في نفس محب الدين الخطيب، فيما يأتي:

(١٣) ينظر: الجندي، أنور، اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب، دار الاعتصام– مصر، د.ط وت، ص (١٠).

الفرع الأول: الغيرة على اللغة العربية:

في بداية المرحلة الجامعية لمحب الدين في استانبول ومع أول مقدمه، ظهرت بوادر هذه الغيرة صراحة في قوله: "هالني عند وصولي إلى هذه البيئة الجديدة أن جميع أبناء العرب من سوريين وفلسطينيين وعراقيين وحجازيين وغيرهم، يجهلون قواعد لغتهم، وإملائها، فضلاً عن آدابها وثقافتها ويتكلمون – حتى فيما بينهم– باللغة التكرية، وليس منه إنسان واحد له رسالة سامية في الحياة، ولا لأحدهم مطمع إلا أن يحذق الكلام والكتابة باللغة التركية ويندمج في أهلها، ثم يكون مستعبداً لوظيفته، التي يرجو أن يحصل على المنزلة على طريقها"(١٤).

فالحمية إلى اللغة العربية جزء لا يتجزأ من مفهوم الدفاع عن الإسلام والدين، وقد شن محب الدين الخطيب حرباً على من يهاجم اللغة العربية أو ينتقص من شأنها، فكانت كتاباته الأدبية فضلاً عن السعي في نشر الأدب العربي عبر مجلته "مجلة الزهراء".

يقول الخطيب في ختام كتابه "اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب": "إن البحث الذي عرضته على أنظار القاريء الكريم في هذه الرسالة من أهم المباحث التي يجب على كل من يتصدى للكتابة في تاريخ الأمة العربية أن يُطيل النظر فيها؛ لأنه الأساس الذي ينبني عليه تاريخ جميع الحضارات السامية... غرضي غرس الفكرة التي تنتج عن هذه النصوص في ذهن كل ناطق بالضاد"(١٥).

(١٤) ينظر: سويدان، من سير الخالدين بأقلامهم، ص (٩٠-٩١).

(١٥) الخطيب، محب الدين، اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب، المطبعة السلفية ومكتبتها– القاهرة، ١٣٤٤هـ، ص (٥٢).

الفرع الثاني: الغيرة على معالم الإسلام، من اختراق الثقافة الغربية:

بالنظر إلى معاييره في الحكم على الواقع بما ذكره في مذكراته من الحديث عن "جوّ القاهرة الفكري والثقافي في ذلك الحين متشبعاً برطوبة الأخذ بثقافة الغرب بكل ما فيها من خير وشر وجد وهزل، وأن أكثر القائمين على الأندية والعاملين في الصحافة والمترددين على الأندية والمجتمعات يعدُّون كل نزعة إسلامية رجعية وجموداً، وكان العالم الإسلامي أصيب حينئذ بظهور الدعوة الكمالية إلى الفصل بين الدين وشؤون الدنيا، وتردد صدى ذلك في مصر على صفحات كتاب "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرازق، وأنصاره الكثيرين في حزب الأحرار الدستوريين، وجمعية الرابطة الشرقية، ونادي القلم، وفي كلية الآداب التي أعلن زعيمها طه حسين: "آن للقرآن أن يقول، وللتوراة أن تقول ... والعلم غير مقيد بما يقولان""[١٦].

المطلب الثاني: آثار محب الدين الخطيب:

المقصود بالآثار هي تركة محب الدين الخطيب أو الإرث الذي تركه خلفه، وهذا الأرث العظيم هو آثار الغيرة على الدين والإسلام، وكل ما له شأن بالمكون الاجتماعي للفئة المسلمة، والتعبير عنها بالأثر والآثار أقوى دلالة من التعبير بالتأليف والجمع وما يدخل في معناهما؛ إذ إن المقصود هو النظر في الأثر العملي في منتجات الشيخ محب الدين، فالشيخ بمؤلفاته كان يخاطب الواقع ويتعامل معه تعامل المريض المحتاج للدواء.

(١٦) الخطيب، محب الدين، مذكرات محب الدين، ص (١٧٠)، نقلاً عن: الزهراني، أحمد بن عبد الله، واقع العالم الإسلامي (٢-٢)، مجلة البيان، ع ١٧٤، صفر- ١٤٣٢هـ، ص (٨٤- ٩١)، ص (٨٤).

لقد شارك الشيخ محب الدين الخطيب في الجهد الدعوى لدفع الأفكار المنحرفة في شتى الأبواب، من تأليف ومشاركة وبيان وخطب، وما إليه حتى إنه قد سعى وأقام صروحاً تدفع نحو هذا المطلب كما سيأتي بيانه:

الفرع الأول: مؤلفات وتحقيقات الشيخ محب الدين الخطيب:

الحديث عن مؤلفات محب الدين الخطيب فرع من فروع بيان جهد محب الدين الخطيب، ولكن المقام لا يتسع للإطالة في الحديث عن جهده الناشئ عن المؤلفات عامة، إذ الهدف هو بيان جهده في محاربة الأفكار المنحرفة، فسأكتفي ببعض المؤلفات هنا تبياناً لمقصود الباحث من النظر في أثر هذا الانتاج على واقعه.

أما الكتب: فللشيخ محب الدين الخطيب كتب عديدة مختلفة الحجم، منها الكتب التي اعتنت بالدفاع عن أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم– والرد على الطاعنين فيهم من الشيعة الرافضة، وهي تدور بين التأليف والتحقيق:

١. كتاب "مع الرعيل الأول".

٢. كتاب "حملة الإسلام الأولون وما كانوا عليه".

٣. كتاب "العواصم من القواصم" لابن العربي المالكي، وقد عمل محب الدين الخطيب على تحقيقه.

٤. كتاب "المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والإعتزال" للحافظ الذهبي وهو مختصر كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية "منهاج السنة"، وقد عمل محب الدين على تحقيقه.

٥. كتاب "الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة" وهو من تأليف محب الدين الخطيب، وهو من القطع الصغير.

٦. كتاب "مختصر التحفة الإثنا عشرية" لشاه ولي الله الدهلوي، وقد عمل محب الدين الخطيب على تحقيقه.

والظاهر من هذه الكتب أنها تصب في محاربة التشيع بعمومه والرافضة بخصوصه، أما كتاب "الرعيل الأول" وكتاب "حملة الإسلام الأولون وما كانوا عليه" فمدارهما على بيان فضل أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم– وأثرهم في الأمة(١٧)، وأما ما يليه فقد أخبر عنه بقوله: "رأيت من أكبر الجهاد في الدفاع عن مذهب أهل السنة وأهلها أن أنبه على مواطن الباطل من هذه الكتب الشيعية، فنشرت تعليقاً على كتاب "العواصم من القواصم" للقاضي ابن العربي، وكذلك نشرت تعليقاً على مختصر الحافظ الذهبي لكتاب "منهاج السنة" للشيخ ابن تيمية، وتعليقاً على مختصر "التحفة الاثني عشرية" لابن شاه ولي الله الدهلوي، رسالة "الخطوط العريضة" في حقيقة الشيعة"(١٨).

أما ما يتعلق بالرد على موجات الانحرافات الفكرية الغربية ابتداء بالتأليب على اللغة العربية والعبث في تاريخ العرب، والكلام على أثر الاستشراق على واقع المسلمين، فمن أبرز كتبه:

١. كتاب "اتجاه الموجات البشرية" وهو من تأليف محب الدين الخطيب.

٢. كتاب "الغارة على العالم الإسلامي" وأصله للمستشرق ألفريد لوشاتليه المتوفى سنة ١٩٢٩م، والمنشور عن "مجلة العالم الإسلامي" وهي مجلة تبشيرية، قام فيها محب الدين الخطيب بنقلها إلى العربية، والتعليق عليها لفضح الأعمال الاستشراقية والتغريبية.

(١٧) ينظر: الخطيب، محب الدين، مع الرعيل الأول، المكتبة العلمية– بيروت، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م، ص (٥).

(١٨) لقاء خاص في منزل محب الدين الخطيب بالقاهرة، دام ثلاث ساعات وأثبته الدكتور صالح الخرفي الجزائري في كتابه "صفحات من الجزائر: شخصيات ومواقف"، نقلاً عن: سمراد، سمير، العلامة المجاهد محب الدين الخطيب وجهوده في فضح الشيعة الرافضة، مجلة الإصلاح، مج ٥، ع ٢٦، ٢٠١١م، يونيو– جمادى الآخرة، ص (٤٣–٥٠)، ص (٤٣).

الفرع الثاني: المجلات والجرائد:

وأهم هذه المجلات والجرائد:

شارك الشيخ محب الدين الخطيب في عدد كبير من المجلات والجرائد مشاركة ونشراً، كان على رأس أهم هذه المجلات:

١. مجلة الفتح: وهي المجلة تُعد من أهم المجلات التي قام عليها محب الدين الخطيب؛ فقد أسسها في الثاني والعشرين من ذي الحجة لسنة ١٣٤٥هـ- الموافق أيار ١٩٢٦م، وقد استمرت المجلة في الصدور لغاية عام ١٩٤٨، يذكر أنور الجندي أن سبب سعي محب الدين الخطيب لتأسيس مجلة الفتح هو الحاجة إلى تكوين جبهة مقاومة للأفكار المنحرفة من إلحاد ومحاربة الشعوبية التي تحتقر العرب، وكل فكر دخيل على الثقافة الإسلامية أو على العقيدة ذاتها(١٩).

يتحدث محب الدين الخطيب عن معنى ما ذكره أنور الجندي، فيقول: "إن الفتح أُنشأت لمماشاة الحركة الفكرية الإسلامية وتسجيل أطوارها ولسد الحاجة إلى حاد يترنم بحقائق الإسلام مستهدفاً تثقيف النشئ الإسلامي، وصبغه بصبغة إسلامية أصيلة يظهر أثرها في عقائد الشباب وأخلاقهم وتصرفاتهم، وحماية الميراث التاريخي الذي وصلت أمانته إلى هذا الجيل من الأجيال الإسلامية التي تقدمته"(٢٠).

فمجلة الفتح لم تترك قضية عربية في القرن العشرين إلا وناضلت في سبيلها حتى توقفت، ولم تترك جريحاً في العالم الإسلامي إلا وسارعت كي يلتئم في سبيل عالم اسلامي حر يؤمن بالله وكتبه ورسله يعتز أبناؤه بدينهم

(١٩) ينظر: الجندي، اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب، ص (٢٩٩).
(٢٠) سمراد، مصدر سابق، ص (٤٣).

ويتمسكون بكتابهم ولغتهم ويجدون من تعاليم هذا الكتاب ما يحقق عزتهم، ويصون كرامتهم، ويحفظ حياتهم"[٢١].

ولتمام عمل المجلة ولتحقيق هذا الجهد المطلوب في الدفاع عن الحركة الفكرية الإسلامية، فقد وضعت المجلة لها أهدافاً على النحو الآتي[٢٢]:

- إحياء ذكرى المدينة الإسلامية.
- صلاح الأصول الإسلامية الصحيحة الانطباق على مقتضيات كل عصر ومكان.
- مقاومة الإلحاد ودعوى التجديد الكاذب.
- بيان أن العلم الصحيح يتآخى مع الدين الإسلامي ولا يتنافى مع أصله.
- أخبار العالم الإسلامي التي تتصل بالوجهة الدينية الاجتماعية.
- بيان أسس التشريع في المملكة الإسلامية وبيان حكمه في كل مسألة.
- تفسير القسم الاجتماعي والأخلاقي من القرآن والسنة[٢٣].

٢. مجلة الزهراء: وقد تأسست على يد محب الدين الخطيب، فصدر العدد الأول من هذه المجلة في محرم لسنة ١٣٤٣هـ- الموافق لآب سنة١٩٢٤م، وهي مجلّة أدبيّة اجتماعيّة شهريّة، حيث خرج العدد الأوّل منها بتاريخ١٥محرّم من عام١٣٤٣هـ، الموافق لآب من عام ١٩٢٤م، إلا أنها استمرت لمدة خمس سنوات من تاريخ الإنشاء[٢٤].

(٢١) منصور، فاروق، السيد محب الدين الخطيب كما عرفته، مجلة الحج والعمرة، س ٢٤، ج ١٢، أغسطس- ١٩٧٠م، ص (٧٩٠-٧٩٣).

(٢٢) ينظر: مجلة الفتح، العدد ١، الخميس ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٤هـ- ١٠ يونيه سنة ١٩٢٦م، ص (١).

(٢٣) ينظر: الجندي، اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب، ص (٢٩٩).

(٢٤) ينظر: الجندي، أنور، مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، دار الإرشاد- بيروت، ط١، د.ت، ص (١٩٩).

٣. مجلة الأزهر: حيث قام محب الدين الخطيب برئاسة تحريرها مدة تجاوز ست سنوات، ما بين العامين ١٩٥٢-١٩٥٨م، في الفترة التي تولها فيها الشيخ محمد الخضر حسين مشيخة الأزهر، حيث كان الشيخان على علاقة وصداقة فيما بينهما.

أما الجرائد:

الحديث عن مشاركات محب الدين الخطيب في تفعيل الجرائد بما يحقق مقاصده من دعوته إلى الله كثيرة لا يتسع لها المقام هنا؛ إذ إن محب الدين الخطيب اشتغل على الجرائد والمجلات بالنظر إلى أنها تخطاب شريحة كبرى من عامة الناس، فيوجه لهم خطابه بما يصلح لهم.

ومن هذه الجرائد:

١. جريدة المؤيد: وصاحب جريدة المؤيد هو علي يوسف، ولهذه الجريدة دور في نشر مقالات محب الدين الخطيب في الرد على الأفكار التغريبية والاستشراقية.

٢. جريدة العاصمة: وهي الجريد المنبثقة عن الجمعية العربية الفتاة، وقد أشرف عليها محب الدين الخطيب بعد عودته إلى دمشق إلى سنة ١٩٢٠م مع دخول القوات الفرنسية دمشق[٢٥].

الفرع الثالث: تأسيس المطبعة السلفية:

ومن المناسب في هذا المقام ذكر قيام محب الدين الخطيب في تأسيس معلم من أهم معالمه في الدفاع عن الإسلام والرد على الأفكار المنحرفة، وهي المطبعة السلفية (١٩٠٩م) التي كان الدور المميز في نشر التراث، وقد كانت في بدايتها مكتبة صغيرة أسسها مع صديقه عبد الفتاح قتلان[٢٦].

(٢٥) ينظر: سويدان، من سير الخالدين بأقلامهم، ص (٢٠٢).

(٢٦) ينظر: عبيد، مصدر سابق، ص (٧٦).

المطلب الثالث: مبدأ الأولويات في فكر محب الدين الخطيب:

لا شك أن لمحب الدين الخطيب تصور واضح عن مفهوم الأولويات ودوره في صياغة الجهد الدعوي، ويظهر هذا من خلال رصد الاهتمامات الفكرية لمحب الدين الخطيب، وقد أشار – رحمه الله– إلى معنى الأولويات في معالجة مشكلات الأمة فيما خَطَّه في منشوره "منهج الثقافة الإسلامية"، من الحديث عن منهج بناء الجيل الجديد من خلال مهمتين(٢٧):

الأولى: الحديث عن بعث التراث القومي من تاريخ وأخلاق وعلوم وسنن ووصايا، وتعيين أهداف، وتكون نتيجته معرفة الكيان القومي للأمة المسلمة كما كنا في الماضي، وكما يجب أن نكون في المستقبل.

الثانية: مطاردة الاستعمار في نفوس أبناء الجيل، من خلال مطاردة معاني الضعف التي طرأت على مفهوم الدين في عقول عامة الناس، وأن العاملين في هذه المهمة هم دعاة الإصلاح الذين عادة ما يبدأون بأنفسهم.

فالفكرة العملية عند محب الدين قائمة على النظر في أدوات المعرفة المؤثرة على عملية البناء المعرفي، ثم العمل على مطاردة الأفكار والمعاني الضعيفة من خلال الأدوات العملية التي تم السعاية إلى رفادتها، وعلو شأنها، وهذا هو عين النظر الأولوي المبني على تصور الواقع والواجب من معالجة هذا التصور.

وعبر محب الدين الخطيب عن قاعدة الأولويات كذلك بقوله: "في كل يوم ألقى شباباً من شبابنا المثقف يسألني الواحد منهم أول ما يسأل: ماذا يجب أن نعمل، وبماذا يجب أن نبدأ، وما هو الطريق الذي تشير علي بأن أجعله طريقي في الحياة؟"(٢٨).

(٢٧) ينظر: الخطيب، محب الدين، منهج الثقافة الإسلامية، دار أم القرى للطباعة، ١٤١٩هـ، ص (٢٦).

(٢٨) الخطيب، منهج الثقافة الإسلامية، ص (٣٣).

ثم أسهب محب الدين الخطيب في الحديث عن خطوات هذا الجواب بما يتفق مع ما تقدم ذكره من العناية بتراث الأمة والدفاع عنه، وتأسيس جمعيات إسلامية تسهم في تعزيز النشئ المسلم بما يدفع عنهم المقابل من عمل المستشرقين الغربيين أو التغريبيين من أبناء جلدتنا[٢٩].

(٢٩) ينظر: الخطيب، منهج الثقافة الإسلامية، ص (٣٤- ٤٠).

المبحث الثالث

جهود محب الدين الخطيب في محاربة الغزو الفكري

المقصود هنا بالغزو الفكري: "قيام أعداء الإسلام وخصومه من يهود ونصارى وملحدين ونحوهم، بمحاربة ومحاولة القضاء على الدعوة الإسلامية، وإيقاف مدها، وإخراج المسلمين منه، أو صرفهم عن التمسك به؛ لإحكام السيطرة عليهم واستغلالهم، وشل بواعث القوة فيهم بالطرق غير العسكرية، وسلاح هذا الغزو: هو الفكرة والكلمة والرأي والحيلة"(٣٠).

المطلب الأول: جهود محب الدين الخطيب في مقاومة التبشير:

يُقصد بالتبشير هنا: ما يشير إلى عملية دعوة المسلمين إلى النصرانية عن طريق المنظمات الدينية النصرانية(٣١).

وكان من جملتها في عصر محب الدين الخطيب وقبل عصره إنشاء جمعيات تبشيرية؛ منها على سبيل المثال: تأسيس معهد علمي للتبشير التابع لجمعية تبشير الكنيسة سنة ١٨٨٢م، واشتمل هذا المعهد على فروع: الأول: قسم طبي، والثاني والثالث: مدرسة للصبيان ومدرسة للبنات، والرابع: لنشر الإنجيل، فضلاً عن نشر هذا المعهد لمجلة أسبوعية تهدف إلى الدعاية للتبشير(٣٢).

أما جهود محب الدين الخطيب في مقاومة التبشير فتمثلت في(٣٣):

(٣٠) ينظر: عبيد، مصدر سابق، ص (١٥٠).
(٣١) ينظر: عبيد، مصدر سابق، ص (١٥٢).
(٣٢) ينظر: عبيد، مصدر سابق، ص (١٥٣).
(٣٣) ينظر: عبيد، مصدر سابق، ص (١٥٥).

- عمل محب الدين الخطيب على فضح مخططات هذه المعاهد والجمعيات، ومن أعماله: نشره لكتاب "الغارة على العالم الإسلامي" عام ١٣٣٠هـ، والكتاب أصله بحث كبير نشرته مجلة تبشيرية اسمها "مجلة العالم الإسلامي"، فنشر الخطيب هذا البحث بعد أن علق عليه في سلسلة مقالات في صحيفة المؤيد.

فكان مما قاله فيما نشره تعليقاً على الكتاب: "وما كادت هذه المقالات المتسلسلة تنتشر في مصر والعالم الإسلامي حتى كان لها وقع عظيم جدًا وبعثت اليقظة في كثير من الناس. ونقلتها عن "المؤيد" مجلات وصحف متعددة – منها مجلة "المنار" في القاهرة، وجريدة "الإخاء العثماني " في بيروت، وضاق صدر كُتَّاب "مجلة العالم الإسلامي " نفسها وأمثالهم من أنصار التبشير والاستعمار من ذيوع هذه الفصول بين المسلمين، لأنهم يَوَدُّونَ أنْ يقوم التبشير بأعماله والمسلمون نيام. فدارت مناقشة بينهم وبين " المؤيد " حول هذا الموضوع، تولى كاتب هذه السطور الإجابة عليها"(٣٤).

- أنشأ محب الدين الخطيب لمحاربة التبشير جمعية الشبان المسلمين سنة ١٣٤٦هـ– الموافق ١٩٢٧م، وانتخب لهذه الجمعية مجلس إدارة كان محب الدين الخطيب من بين أعضاءه كاتماً للسر العام، وقد نشطت هذه الجمعية في مقاومة التبشير، والرد على شبهات النصارى، ومجابهة المبشرين(٣٥).

(٣٤) لوشاتليه، ألفريد، ت ١٩٢٩م، الغارة على العالم الإسلامي، لخصها ونقلها إلى العربية وعلق عليها: محب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، ط٢، ١٣٨٧هـ، ص (٧).

(٣٥) ينظر: عبيد، الفكر الإصلاحي عند محب الدين الخطيب وأثره على المجتمع دراسة تحليلية، ص (١٥٥).

- كان لمجلة الفتح الدور الكبير في مواجهة الغزو الفكري التبشيري، يقول أنور الجندي: "وكانت مؤامرة التبشير من أكبر القضايا التي أولتها مجلة الفتح اهتمامها"(٣٦).

المطلب الثاني: جهود محب الدين الخطيب في مقاومة الاستشراق والتغريب:

الفرع الأول: جهود محب الدين الخطيب في مقاومة الاستشراق:

تعد ظاهرة الاستشراق من أخطر الظواهر المعادية لدين الله في عصرنا؛ لشمولها كافة جوانب الشريعة، ومن نعم الله علينا رغم استمرار مشروع الاستشراق هو فضحه وازدياد الدراسات الفاضحة له، فضلاً عن بلوة أفكار إنصافيه عند بعض المستشرقين عن الإسلام بعد انغماسهم في دراسة هذا الدين بزعم الموضوعية(٣٧).

والحديث عن الاستشراق ذو شجون، إلا أن البحث هنا متعلق بماهية جهود الشيخ محب الدين الخطيب في مقاومة الاستشراق، فنذكر منها:

- دأب محب الدين الخطيب على محاربة الاستشراق في الصحف المؤيد والزهراء الشهرية، وكذا في مجلة الفتح، بنشر أعمال المستشرقين من تأليف الكتب وترجمة هذه الكتب إلى لغات أخرى.

وفيما نشره محب الدين الخطيب عن أعمال المستشرقين الحديث عن المؤتمر الأول الذي تم عقده في باريس عام ١٨٧٣م، وما بعده من

(٣٦) الجندي، أنور، تاريخ الصحافة الإسلامية، دار الأنصار– القاهرة، د. ط وت، (٨٤/٢).

(٣٧) النملة، علي بن إبراهيم، الاستشراق في خدمة التنصير واليهودية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود– الرياض، ع ٣، رجب – فبراير، ١٩٩٠م، ص (٢٣٧– ٢٧٣)، ص (٢٣٧).

المؤتمرات، مع بيان الفئات التي يركز عليها المستشرقون، وطريقة استمالة المدعويين إليهم(٣٨).

- عني محب الدين الخطيب بمواجهة الفكر الاستشراقي عن طريق الدعوة إلى إصلاح النظام الأزهري، والعناية بالمتخرجين للوصول بهم إلى مرحلة مجابهة الحملات الاستشراقية بعلم وتمكن، والرد على الشبهات التي يلقيها المستشرقون عادة(٣٩).
- دعى محب الدين الخطيب إلى إيجاد قاعدة مقابلة للمستشرقين في العمل على تراث الإسلام، وتقوم ببث التراث الإسلامي ودفع الشبهات عنه، يقول محب الدين: "إن المستشرقين حاولوا هذا بتأليفهم "دائرة المعارف الإسلامية"، وهو مجهود علمي عظيم تضافروا عليه جميعهم وساهم فيه كل واحد منهم من الجهة التي له فيها يد، وسبق له في موضوعها دراسة وتخصص، إلا أن للمستشرقين وجه نظر إلى التراث الإسلامي غير الوجهة التي يتجه إليها نظر المسلمين أنفسهم لو درسوا هذا التراث الإسلامي كدراسة المستشرقين له"(٤٠).

الفرع الثاني: جهود محب الدين الخطيب في مقاومة التغريب:

العمل التغريبي بشكل منبثق عن عمل المستشرقين غالباً، غير أن التغريب يقع من أناس هم من أبناء جلدتنا، وأسماؤهم أسماؤنا، لكن قلوبهم مع أعداء الإسلام والمسلمين، ويتفاوت التغريبيون في حقيقة انتسابهم للإسلام، بين

(٣٨) ينظر: عبيد، مصدر سابق، ص (١٦٠).

(٣٩) ينظر: الخطيب، محب الدين، الأزهر ماضيه وحاضره، المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة، ١٣٤٥هـ، ص (٤٠- ٤٩).

(٤٠) الخطيب، منهج الثقافة الإسلامية، ص (٣٧).

الانخداع بالبريق الغربي مع الاعتقاد الظاهر بدين الإسلام، وبين العداء الحقيقي المنخلع عن ربقة هذا الدين(٤١).

وتبرز جهود محب الدين الخطيب في الرد على الفكر التغريبي في:

- ما تقدم ذكره من جهوده في مقاومة الاستشراق، وينعكس هذا بالضرورة على موضوع التغريب كذلك، وقد اشتد تحذير محب الدين الخطيب من أثر التغريب على واقع المسلمين فقال: "الاستعمار الفكري أعظم خطراً من الاستعمار الأرضي، فالأرض يمكن استردادها، أما إذا تمكنت القومية الغربية من استعمار قلوب الرجال والنساء، فذلك هو الخسران الأكبر، إنها طلائع الزحف الفكري الذي تزحفه أوروبا إلى قلوب الشرقيين بوجه عام، والمسلمين بوجه خاص، الاستعمار الجديد الذي ينبه العرب على الدعاية عن طريق الكتب الأدبية، وعن طريق الروايات القصصية والمسرحية ثم عن طريق لوحة الصور المتحركة"(٤٢).

المطلب الثالث: جهود محب الدين الخطيب في مقاومة الإلحاد والعلمنة:

الفرع الأول: جهود محب الدين الخطيب في مقاومة الإلحاد:

الإلحاد هو: فكر يقوم على إنكار وجود الخالق، وأن الحياة قائمة على المادة، وأن التصورات الغيبية غير حقيقية.

وقد عمل محب الدين الخطيب على محاربة الأفكار الإلحادية بطرق شتى، منها:

(٤١) ينظر: الجندي، اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب، ص (٧).
(٤٢) الجندي، تاريخ الصحافة الإسلامية، ص (١١٢).

- التركيز على مجابهة الإلحاد، وهو ما جرى حقيقة في أعداد مجلة الفتح، ومنها ما ذكره في العدد الأول من المجلة: "فقد هال جماعة من أهل الغيرة على الدين والحمية للإسلام، تلك النزعات الهادمة، والهجمات التي يوجهها الملحدون نحو أصول الإسلام وقواعده، فكان ذلك من دواعي إصدار صحيفة دينية علمية أدبية تقوم بالدفاع عن الإسلام، وتعمل على تمثيله للقراء تمثيلاً صحيحاً بريئاً من الشوائب"(٤٣).

الفرع الثاني: جهود محب الدين الخطيب في مقاومة العلمنة:

المقصود بالعلمنة هو تحييد الدين عن واقع الناس والأمة، وبالتالي فخطرها ينبثق من جعل الشرائع البشرية مساوية لحكم الله في الأثر.

ومن جهود الشيخ محب الدين الخطيب في نقد ومقاومة العلمانية:

- تناول محب الدين الخطيب كتاب "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرزاق بنشر ما ينتقد الكتاب؛ نظراً لكون الكتاب من الكتب التي كانت لها تؤسس للعلمانية وتعمل على شرعنتها، ومن الردود على علي عبد الرزاق التي نشرها الخطيب في مجلة الفتح، نقد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور لكتاب علي عبد الرزاق(٤٤).

(٤٣) مجلة الفتح، العدد ١، الخميس ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٤هـ- ١٠ يونيه سنة ١٩٢٦م، ص (١).

(٤٤) ينظر: مجلة الفتح، العدد ٤، ١٩٢٦/٧/٨م.

- وكذا رد الشيخ محمد الخضر حسين على علي عبد الرزاق في محاضرة نشرها بعد ذلك محب الدين الخطيب في مجلته في العدد (٦٨) لعام ١٩٢٧م[٤٥].
- قامت المطبعة السلفية بطباعة كتب نقود على كتاب علي عبد الرازق، نقد محمد الطاهر بن عاشور، ونقد محمد الخضر حسين، ونقد محمد بخيت المطيعي[٤٦].

(٤٥) ينظر: حسين، محمد الخضر، ت ١٣٧٧هـ، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضير حسين، جمعها وضبطها: المحامي علي رضا الحسيني، دار النوادر– سوريا، ط١، ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م، ص (٥٣/٢/١١).

(٤٦) ينظر: مجلة الفتح، العدد ٤، ١٩٢٦/٧/٨م.

المبحث الرابع

جهود محب الدين الخطيب في محاربة الفكر الباطني

المطلب الأول: جهود محب الدين الخطيب في مقاومة البهائية والقاديانية:

للشيخ محب الدين الخطيب في نقد البهائية والقاديانية باعتبارهما طائفتين باطنيتين كافرتين:

أما البهائية: فهي طائفة لا تعترف بشرائع الإسلام، تعود جذورها إلى الفرقة البابية، والتي نشأت في مدينة شيراز في إيران، سنة ١٨٤٤م، ويعتقد البهائية الألوهية في البهاء الذي هو حسين علي ويعتقدون كذلك أنه يأتيه الوحي، ونزل عليه كتاب اسمه "الإيقان" يقع في ٢٠٠ صفحة(٤٧).

أما القاديانية: فهي فرقة نشأت في الهند في القرن التاسع عشر وتنتسب لميرزا غلام أحمد، ويعتقد القاديانية أن ميرزا هذا هو نبي من عند الله، ويعتقد ميرزا في نفسه أنه المسيح عيسى بن مريم، وأن قريته "قاديان"هي بلدة مقدسة، وأن الحج إليها واجب(٤٨).

أما جهود محب الدين الخطيب في مواجهة البهائية فتظهر في:

- كشف محب الدين الخطيب حقيقة البهائية في مؤلف خاص باسم بعنوان: "دراسات عن البهائية والبابية".
- مواجهة تمددهم في مصر بالتحريض عليهم؛ إذ إن محب الدين الخطيب في مراقبته التامة للبهائية لاحظ شدة سخطهم على

(٤٧) ينظر: الخطيب، محب الدين، دراسات في البهائية والبابية، بدون دار نشر، ص (٤).

(٤٨) ينظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف وتخطيط: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط٤، ١٤٢٠هـ، (٤١٦/١).

القوميات والوطنيات بأجمعها، بزعمهم أنهم ينحون نحو توحيد الإنسانية(٤٩).

وأما جهوده في مواجهة القاديانية فتظهر في:

- المتابعة الحثيثة لمجريات الدعوة القاديانية في مختلف البلدان، ورصد أخبارهم وفضحهم في مجلة الفتح(٥٠).

المطلب الثاني: جهود محب الدين الخطيب في مقاومة التشيع والتصوف:

الجانب العملي هو الصيغة الأبرز في جهود محب الدين الخطيب، فلم يكن الخطيب يكتفي بمجرد الإشارة والتحذير من الأفكار دخيلة أو المنحرفة، دون الحديث عن آثارها العامة والخاصة وقت الخطاب، ويمكن الإشارة إلى جانبين مهمين في تصور موقف الشيخ محب الدين الخطيب من جانبي التشيع والتصوف، وهما:

الجانب الأول: العلاقة بين التصوف والتشيع، باعتبار أن التصوف المفرق هو الطريق الممهد للتشيع، يقول محب الدين الخطيب: "كنت أرى ضرر الطرق الصوفية فيما مضى، فقد اتسع في هذه السنوات مجال الدعوة الشيعية بكتب تصدر في النجف في العراق، ومن جبل عامل في لبنان، ومن إيران والهند، وفيها الطعن على الصحابة من الصديق الأكبر إلى من هو دونه من أصحاب الرسول – صلى الله عليه وسلم–" (٥١).

الجانب الثاني: الحديث عن كل من التصوف والتشيع على حدة، بإفرادها وبيان أخطارها، بشكل عام، يقول محب الدين الخطيب: "إن الاستعمار

(٤٩) ينظر: الخطيب، دراسات في البهائية والبابية، ص (٢٨).
(٥٠) ينظر: مجلة الفتح، العدد ٦٠٩، ص (٢).
(٥١) سمراد، مصدر سابق، ص (٤٣).

على اختلاف دوله حاول أن يحارب الإسلام بالطرق الصوفية المنحرفة بشمال إفريقيا، وبالقاديانية والبهائية في الهند، وأقطار أخرى، فكان من وسائل الدفاع عن الإسلام التنبيه على أضرار الطرق المنحرفة ...، وأن مجلة الفتح قامت بنصيب كبير من الجهود في مقاومة الطرق ومقاومة القاديانية، وحتى بعد احتجاب الفتح كنت انتهز الفرص في مجلة الأزهر لمواصلة هذا الجهاد الذي أرجو من الله أن يؤدي ثمرات طيبة في الجزائر، وفي جميع البلاد الإسلامية التي زال عن آفاقها شبح الاستعمار"(٥٢).

أما جهده في مقارعة التشيع فيتحدث – رحمه الله– عن ذا، فقال: "رأيت من أكبر الجهاد في الدفاع عن مذهب أهل السنة وأهلها أن أنبه على مواطن الباطل من هذه الكتب الشيعية، فنشرت تعليقاً على كتاب "العواصم من القواصم" للقاضي ابن العربي، وكذلك نشرت تعليقاً على مختصر الحافظ الذهبي لكتاب "منهاج السنة" للشيخ ابن تيمية، وتعليقاً على مختصر "التحفة الإثني عشرية" لابن شاه ولي الله الدهلوي، رسالة "الخطوط العريضة" في حقيقة الشيعة"(٥٣).

وإن كان التشيع ببذرته وأصوله ونمطه العام أسبق بقرون طويلة من زمن محب الدين الخطيب إلا أن الإقبال على دعوة التقريب كانت كفيلة في عين محب الدين للقيام بالواجب العملي الكبير من العناية بموضوع التشيع "الرفض" وبيان خطره بشكل جليّ، يقول الخطيب في الخطوط العريضة: "كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن هذه الدعوة ثم تطور التأثر به وبها حتى بلغ الأزهر، وهو أشهر وأضخم معهد ديني لأهل السنة المنتسبين إلى المذاهب الفقهية

(٥٢) سمراد، مصدر سابق، ص (٤٣).
(٥٣) سمراد، مصدر سابق، ص (٤٣).

الأربعة، فتبنى الأزهر فكرة التقريب هذه بأوسع من نطاقه الذي التزمه بلا انقطاع من أيام صلاح الدين الأيوبي إلى الآن، فخرج الأزهر عن ذلك النطاق إلى رغبته في التعرف إلى المذاهب الأخرى، وفي طليعتها مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ولا يزال الأزهر حتى هذه الساعة في بداية هذا الطريق؛ لذلك كان هذا الموضوع الخطير جديراً بالبحث، والدراسة والعرض من كل مسلم له إلمام به، ووقوف على ما يلابسه، وما يؤدي إليه من عوارض ونتائج"(٥٤).

(٥٤) الخطيب، محب الدين الخطيب، الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية، تقديم: محمد نصيف، ص (٧).

الخاتمة

وفيها أبرز النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

- تتنوع الجهود الدعوية لمحب الدين الخطيب في محاربة الانحرافات الفكرية بتنوعها في الواقع بين الدعوات التي لا تنتسب للإسلام، والدعوات المنتسبة والتي فيها باطل.
- من المؤثرات على المسيرة الدعوية لمحب الدين الخطيب هو غيرته على دينه، وتمتاز غيرته بأنها مضبوطة بالعلم، ويتبعها بالنظر إلى آليه مهمة في باب الدعوة إلى الله، وهو تعزيز مبدأ الأولويات، والذي يدل بجملته على حسن اختيار الرد، ووقت الرد.
- برزت جهود محب الدين الخطيب في جانب الغزو الفكري في نقد التبشير، والتوجهات الاستشراقية والتغريبية، والإلحاد والعلمنة.
- – برزت جهود محب الدين الخطيب في جانب الرد على الأفكار الباطنية في نقد الطوائف غير المسلمة كالبهائية والقاديانية، والطوائف المبتدعة كالصوفية والرافضة.

ثانياً: التوصيات:

- يوصي الباحث بدراسة مقالات محب الدين الخطيب الواردة في مجلة الفتح، دراسة تحليلية.
- يوصي الباحث بتفعيل مبدأ العمل الدعوي بالنظر إلى القدوات الشامخة أمثال محب الدين الخطيب.

فهرس المصادر والمراجع

١. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة العالمية– بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م.

٢. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦هـ، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣. برج، محمد عبد الرحمن، محب الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية (١٩٠٦م– ١٩٢٠م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٤. الجندي، أنور، اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب، دار الاعتصام– مصر، د.ط وت.

٥. الجندي، أنور، تاريخ الصحافة الإسلامية، دار الأنصار– القاهرة، د. ط وت.

٦. الجندي، أنور، مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، دار الإرشاد– بيروت، ط١، د.ت.

٧. حسين، محمد الخضر، ت ١٣٧٧هـ، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضير حسين، جمعها وضبطها: المحامي علي رضا الحسيني، دار النوادر– سوريا، ط١، ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م.

٨. الخطيب، محب الدين الخطيب، الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية، تقديم: محمد نصيف.

٩. الخطيب، محب الدين، اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب، المطبعة السلفية ومكتبتها– القاهرة، ١٣٤٤هـ.

١٠. الخطيب، محب الدين، الأزهر ماضيه وحاضره، المطبعة السلفية ومكتبتها– القاهرة، ١٣٤٥هـ.

١١. الخطيب، محب الدين، دراسات في البهائية والبابية، بدون دار نشر.

١٢. الخطيب، محب الدين، مع الرعيل الأول، المكتبة العلمية– بيروت، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م.

١٣. الخطيب، محب الدين، منهج الثقافة الإسلامية، دار أم القرى للطباعة، ١٤١٩هـ.

١٤. الدمشقي، محمد منير الدمشقي، نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة الخيرية سنة ١٣٤٩هـ، مكتبة الإمام الشافعي– الرياض، ط٢، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م.

١٥. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي، ت ١٣٩٦هـ، الأعلام، دار العلم للملايين– بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م، (٢١٣/٦).

١٦. الزهراني، أحمد بن عبد الله، واقع العالم الإسلامي (٢–٢)، مجلة البيان، ع ١٧٤، صفر– ١٤٣٢هـ، ص (٨٤– ٩١).

١٧. زين العابدين، محمد توفيق، من أئمة الإصلاح: العلامة المحقق محب الدين الخطيب ١٣٠٥هـ- ١٣٨٩هـ، المنتدى الإسلامي، ع ٢٩٦، مارس- ربيع الثاني، ٢٠١٢م.
١٨. سويدان، حسن السماحي سويدان، من سير الخالدين بأقلامهم، دار القادري، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
١٩. الطنطاوي، علي، ذكريات، دار ابن حزم- بيروت، ط٥، ٢٠٠٧م.
٢٠. عبيد، سامح منصور حمد، الفكر الإصلاحي عند محب الدين الخطيب وأثره على المجتمع دراسة تحليلية، دار الأمل- مصر، ط١، ١٤٤٣هـ- ٢٠٢٢م.
٢١. لقاء خاص في منزل محب الدين الخطيب بالقاهرة، دام ثلاث ساعات وأثبته الدكتور صالح الخرفي الجزائري في كتابه "صفحات من الجزائر: شخصيات ومواقف"، نقلاً عن: سمراد، سمير، العلامة المجاهد محب الدين الخطيب وجهوده في فضح الشيعة الرافضة، مجلة الإصلاح، مج ٥، ع ٢٦، ٢٠١١م، يونيو- جمادى الآخرة، ص (٤٣-٥٠).
٢٢. لوشاتليه، ألفريد، ت ١٩٢٩م، الغارة على العالم الإسلامي، لخصها ونقلها إلى العربية وعلق عليها: محب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، ط٢، ١٣٨٧هـ.
٢٣. مجاهد، زكي محمد، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.
٢٤. مجلة الفتح، العدد ١، الخميس ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٤هـ- ١٠ يونيه سنة ١٩٢٦م.
٢٥. مجلة الفتح، العدد ١، الخميس ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٤هـ- ١٠ يونيه سنة ١٩٢٦م.
٢٦. مجلة الفتح، العدد ٤، ١٩٢٦/٧/٨م.
٢٧. مجلة الفتح، العدد ٦٠٩.
٢٨. منصور، فاروق، السيد محب الدين الخطيب كما عرفته، مجلة الحج والعمرة، س ٢٤، ج ١٢، أغسطس- ١٩٧٠م، ص (٧٩٠-٧٩٣).
٢٩. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف وتخطيط: ماتع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط٤، ١٤٢٠هـ.
٣٠. النملة، علي بن إبراهيم، الاستشراق في خدمة التنصير واليهودية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود- الرياض، ع ٣، رجب – فبراير، ١٩٩٠م، ص (٢٣٧- ٢٧٣).